الحياة
AL HAYAT
تجريبي

أيمن بعلبكي يجعل من الركام جمالاً

الأربعاء، ٢٨ سبتمبر/ أيلول ٢٠١٦ (٠١:٠٠ - بتوقيت غرينتش)

النسخة: الورقية – دولي

بيروت - مهى سلطان

آخر تحديث: الأربعاء، ٢٨ سبتمبر/ أيلول ٢٠١٦ (٠١:٠٠ - بتوقيت غرينتش)

بعد ساعات على الانفجار، تخلو عادة الشوارع من المارة وتوضع العوائق الحديد أمام المبنى المدمر فيتبدى بأنقاضه وشرفاته المتهاوية كأنه منظر مؤبد أو عبثي - دهري. بهذه السخونة والواقعية الروائية التي

تتخطى أحياناً بهولها وفواجعها الواقع نفسه الذي كدنا ننساه، يستعيد أيمن بعلبكي في معرضه الجديد Blowback، الذي يقام في غاليري صالح بركات (كليمنصو لغاية 26 تشرين الثاني - نوفمبر) مشاهد الخراب ودمار الأبنية وأهوال الحرائق وصولاً إلى ثقافة حرق الدواليب احتجاجاً واعتراضاً. كأن الذاكرة حين تعود إلى الزمن كي تستعيد أحداثه، تسعى بقوة إلى التقاط خصائصه والتمسك بأدق تفاصيله، خوفاً عليها من الفقد والضياع، وإن بدت للعامة أنها هامشية أو عادية. ذلك لا يمنع التضخيم والتحوير، في معرض يستمد قوّته أو ضربته الارتدادية من تصعيد النبرة الدرامية للخطاب البصري، كي يصل إلى إثارة الهلع والفجاءة والرغبة في الصراخ والذهول.

لعل التجربة الناجحة لتصوير الأبنية المدمرة لحرب تموز (يوليو) 2006 ساهمت في مضيّ أيمن بعلبكي بصدم العين المحلية والعربية قبل الأجنبية بتيمات ملغزة جددت الأيقونية المتداولة في الفنون العربية المعاصرة، وساهمت بصعود نجمه في المعارض الدولية والمزادات العالمية (كريستيز وثوسبيز). فالعولمة في فن اليوم أضحت ظاهرة لها أثرها العميق على تحولات المشهد الفني من ناحية التوثيق الجمالي لتعابير الاحتجاج الصاخب، والفوضى المفاجئة التي تولدت من كوارث الحروب وانهيارات الأنظمة الاستبدادية في المحيط العربي ودمار المدن والصمت الرهيب الذي يسيطر على العالم. لذا، فإن جماليات العمل الفني المعاصر اكتسب هالته وسحر نسيجه اللوني في تجارب أيمن بعلبكي من فكرة القلق على المصير الإنساني من خلال الإمساك بمشارف المناظر الأليمة لانهيارات الأبنية وفواجع مسارح الانفجارات التي خلخلت السياقات التاريخية للأمكنة وجعلتها أشبه بأطلال متساقطة لحكايات من ركام وعمارات مدمرة في شوارع متهاوية.

هـــذه المحمـــولات العـــاطفيـــة والتراجيدية أخذت وقعها المباشر في أعماله، من خلال دمج الرسم بالتمثيل الواقعي، وإعادة مسرحة هذا الواقع في أعمال تجهيزية وإرساءات مكانية (أشياء وأشكال مصبّرة على طريقة روشنبرغ وأمتعة حقيقية جاهزة Ready Made) مع استخدام «النيون» ليس كإنارة داخل العمل الفني أو في محيطه فحسب، بل للدلالة اللغوية المحملة بمضامين سياسية - سوسيولوجية، لها رمزيتها العميقة وأثرها في ذاكرة العين (الملثّم، الشهيد الذي يحلم بالجنة، الهجرة: صباح الخير وادي أبو جميل، وبرج بابل...). يضاف إلى القيمة التعبيرية التي ينطوي عليها المشهد اللوني من تلطيخ وتشخيص و «عملقة» في أحجام اللوحات بما يحاكي أساليب كبار التعبيريين في العالم (من أمثال انسلم كيفر).

أكثر ما يميز جديد أيمن بعلبكي هو الأحجام العملاقة (ستة أمتار عرض على سبيل المثل)، بكل سطوتها وما تمثله من استدعاءات لأحداث مأسوية: كتفجير السفارة الأميركية وطائرة الميدل إيست في مطار بيروت والمبنى الذي ما زال يحمل آثار بصمات الحرب اللبنانية على خطوط التماس في منطقة السوديكو المدعوة

ببناية بركات. هي مناظر مؤججة من الزمن الماضي ومفخخة باللون وانفجاراته المتناثرة على السطوح المتراكمة، بل هي ركام لوني هائل ورابض مثل جبل شاخص من قمامة لونية ما هي سوى أنقاض أبنية مشوّهة ومفتتة. حتى ليبدو أن الأساس هو العمل على إغناء النسيج اللوني بلهاث الرؤى المتداخلة ونبض الإشارات المتوحشة الجارفة والألغاز الغامضة، حيث نتوءات المنظر المجبول بتقرّحات اللون وأناشيد مقامات شقوقه وجروحه وحروقه. كل ذلك للحصول على دينامية شراسة الفضاءات اللونية في حالاتها المضطربة التي تجسد النهايات العظيمة للأبنية المدمرة.

طرح أيمن بعلبكي معادلة الخروج من «أنطولوجيا» اللوحة، على طريقة جماعة Support-Surface لمحاكاة اللافتات والعرائض الاحتجاجية في خيوط حبالها المشدودة التي تنسحب صوب الاستدعاء المباشر لفكرة النهايات المحتومة. وتتبدى دلالات العلم الأميركي ورمزيته في أعمال بعلبكي بما يناقض ظهوره في أحلام جاسبر جونز ويقظته. حين يطل مرة كراية طليقة ترفرف فوق منظر خرائب السفارة، ومرارا وتكرارا في مشهد حريق أعلام البلدان الاستبدادية، على اعتبار أن العلم الأميركي يتحكم بمصير البشرية جمعاء. كما لو أن السلوك الاحتجاجي من حرق الأعلام ووضع السواتر الإسمنتية التي نقش عليها اسم «بيروت» وحرق الدواليب، أضحت من العلامات البارزة للأحداث التي أخذت تتوالى في ميتافيزيقيا فصلات الصراعات الداخلية وكرنفالات مظاهرها الثورية. هكذا، يستعيد أيمن بعلبكي الأشياء التي شكلت سدودا لمعابر الحياة في الطرقات، كي يكشف أبعاد المقولة الشهيرة لأندريه مارلو «في عالم بلا أمل يصعب التنفس». لذا، حاول أن يعطي الأشياء Objets هالة التجهيز من خلال تحويلها إلى دواليب وعوارض زجاجية باردة أشبه بأشكال صناعية لطبيعة ميتة بلا لون أو رائحة، لكنها مسننة بما يكفي لمن يجرؤ على العبور إلى المنطقة المحظورة.